أمام محكمة الشرف:

الصورة الجوية.. "الضائعة".. أيضاً!

● الطيار على عفت نجح فى وقف المشروع

محمد خلف الله

التحقيق

نيثر هذا الأسبوع.. قضية «الصور الجوية الضائعة» من مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية، وقرار وزير الحربية بوقف المشروع نهائيا لخطورته على الأمن، لما يترتب على [كشف المواقع العسكرية، والرحلة الغامضة إلى باريس، والصور الجوية للسد العالى!

وهذه الأسرار «التى نعلنها لأول مرة.. فى حاجة إلى الوقوف عندها.. ونحن نواصل هذا الأسبوع عرض القضية الخطيرة.. التى نقدمها لمحكمة الشرف.

● الصور الجوية كشفت المواقع العسكرية والمنشآت والكبارى.. والمصانع

رغم مرور أكثر من ٤ سنوات.. فإن الطيار على عفت لم يهدأ.. واستمر فى معركته حتى صدر قرار من الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية فى ذلك الوقت.. بوقف المشروع نهائيا.. وكان هذا القرار انتصارا كبيرا لصالح مصر.. وهى تستعد لتواصل مسيرة الصمود بعد الهزيمة، فتبنى المواقع والمطارات.. وتعيد بناء قواتها المسلحة.. استعدادا ليوم تنتصر فيه ارادة الشعب.. بانتصار قواته المسلحة.. انتصارا يمحو آثار الهزيمة».

وبعد الهزيمة بأكثر من سنة كاملة.. وفى ١٢ يونيو ١٩٦٨.. أصدر الفريق أول محمد فوزى، وزير الحربية قرارا بوقف المشروع نهائيا.. وأرسل بذلك خطابا إلى المهندس ابراهيم زكى القناوى، وزير الرى فى ذلك الوقت، تضمن هذا الخطاب الخطير ردا على كتاب وزير الرى بخصوص بحث ما جاء فى تقرير الطيار على عفت، بشأن مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية.. وأعلن فيه وزير الحربية رأى الوزارة - والذى على أساسه قرر وقف المشروع نهائيا.

قال وزير الحربية.. إنه بالنسبة للدراسة الفنية لعملية تصنيف وحصر الحاصلات الزراعية بالتصوير الجوى، فإن المشروع غير اقتصادى، بمقارنته بالمسح الأرضى، علاوة على أنه يستلزم شراء خامات وأفلام بالعملة الصعبة تصل إلى ٥٠ ألف جنيه سنويا، كما أنه لايقدم النتائج المطلوبة منه فى مواعيدها، وقد ثبت ذلك فى أعوام ٦٦ و٦٧ و٦٨، فوصلت النتائج مثلا فى شهر يونيو بدلا من شهر مارس.. أى بتأخير ثلاثة شهور، بالإضافة الى عدم دقة النتائج فقد كانت هناك فروق واضحة.. بمقارنتها بالمسح الأرضى.

وهذا التلخيص.. هو ما أثاره الطيار على عفت، وأثاره علوى حافظ.. فى الجلسة المسائية لمجلس الأمة يوم ١٩ يونيو ٦٧.

كشف المواقع

وبالنسبة لخطورة المشروع على الأمن القومى، وأمن القوات المصرية المسلحة.. قال وزير الحربية.

سبق أن أصدرت تعليماتى بعدم اتمام تنفيذ عمليات المسح الجوى فى جميع محافظات الجمهورية عدا محافظات المنيا وأسيوط وقنا ومدينة الأقصر.. لما يترتب عليه من «كشف المواقع العسكرية»!

وكان قرار وزير الحربية - السابق - يقضى بوقف تنفيذ عمليات المشروع فى جميع المحافظات عدا محافظات الصعيد الثلاث المنيا وأسيوط وقنا، ومدينة الأقصر أيضا.. على اعتبار أن هذه المحافظات ليست بها اهداف عسكرية - وإن كانت بها أهداف استراتيجية.

وقال وزير الحربية:

وقد قررت مؤخرا وللظروف الحالية وبعد النكسة بحوالى سنة كاملة والتوسع فى الانشاءات العسكرية ادخال محافظات: المنيا وأسيوط وقنا، وبها مدينة الأقصر، ضمن المحافظات الممنوع التصوير الجوى، فيها.. وعلى هذا.. لايتبقى من محافظات الجمهورية محافظة يمكن تطبيق قرار المسح الجوى الزراعى بها.. وهكذا تقرر وقف المشروع نهائيا..

ورغم وقف المشروع نهائيا.. فقد قام مدير المشروع، فى أوائل شهر نوفمبر ١٩٦٨ باصدار تعليمات إلى ٢٠ من العاملين فى مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية، الذى الغى نهائيا، منذ ٥ شهور، فى مأمورية بمحافظة القليوبية تبدأ من ٣ نوفمبر ٦٨، وتستغرق ٢٠ يوما، وزودهم بالصور الجوية التى سبق أن التقطت لحساب المشروع سنة ٦٧، بحجة فك الزمام، وحصر الأراضى البور فى تلك المحافظة!!

وظهرت الصور

وكتب الطيار على عفت إلى وزير الحربية، يذكره ببعض الحقائق التى صاحبت قرار وقف المشروع نهائيا - قال له.

فى مكتب وزير الحربية صباح يوم ٢٤ فبراير ١٩٦٨، وجه إلىّ الفريق محمد فوزى سؤالا عن مصير الأفلام والصور الجوية التى أرسلت الى المشروع منذ يناير ٦٦، وحتى إيقاف العمل فى المشروع - بناء على البلاغ الذى قدمته بتاريخ ١٤ فبراير ٦٧، وأجبت بأنها محفوظة كلها فى ادارة المشروع فى امبابة، واستكمالا لقرار وقف المشروع، وتلبية لدواعى الأمن القومى امر وزير الحربية على الفور بسحب كافة الأفلام والصور الجوية من المشروع، ويقدر عددها بمئات الالاف، حيث ثبت من التحقيق الذى طلبته عقب النكسة، أن تلك الصور التى كانت تعطى للقياسين، ولصغار العاملين، ليتزلوا بها إلى الحقول والقرى، لتمييز الحاصلات الزراعية دون أية رقابة أو تحفظ تحوى على جميع أهدافنا العسكرية والاستراتيجية، وفى اعتقادى كما يقول الطيار على عفت أن أوامر وزير الحربية قد قامت بتنفيذها المساحة العسكرية.

وفى هذه الفترة.. كانت اسرائيل قد قامت بضربتها الجوية المفاجئة واستقرت على الشاطئ الشرقى لقناة السويس، بعد أن احتلت سيناء، وكانت مصر تقوم بتجهيز مسرح العمليات القادمة.. وكانت مصر كلها عبارة عن مسرح العمليات القادمة.. وكانت مصر كلها عبارة عن مسرح العمليات العسكرية.. وفجأة.. تظهر آلاف الصور الجوية.. بين أيدى.. المشرفين الزراعيين والمساحين التابعين للمشروع.. ليقوموا بمقارنتها بالأرض الزراعية فى محافظة القليوبية.

وهنا تثور عدة تساؤلات فكيف حصل مدير المشروع على هذه الصور، بعد وقف المشروع نهائيا وبعد سحب جميع الأفلام والصور من المشروع؟

الصور الضائعة

تساؤلات أخرى.. هل كانت هناك نسخ أخرى من هذه الصور؟

وما الهدف من نزول هذه الصور المليئة بأخطر الأسرار الى القرى والحقول بعد وقف المشروع ؟ وإذا كانت دواعي الأمن قد اقتضت سحب تلك الأفلام والصور من إدارة المشروع .. كاجراء وقائى فكيف تجرأوا على مخالفة قرار وزير الحربية بالغاء المشروع ؟ ومن الذى طلب منهم استخدام مثل هذه الصور بحجة فك الزمام وحصر الأراضى ؟ ! !

واقعة أخرى .. هل وصل إلى علم أجهزة أمن الدولة ، كالمخابرات الحربية ، والمخابرات العامة ، فى ذلك الوقت ، أن صورا جوية « ضاعت » من أحد العاملين فى المشروع ، فى موسم الحصر الشتوى لسنة ١٩٦٧ ، فى محافظة سوهاج ، ثم عثر عليها بعد يومين وأن مديرية أمن سوهاج أبلغت المشروع بذلك .. و .. بس !

وبعد الهزيمة – هل نتذكر أن إسرائيل قد قامت بغارة جوية مفاجئة على قناطر نجع حمادى ؟ وهى المنطقة المجاورة لمدينة نجع حمادى ، والتى تتفرع عندها ترعتان لرويان محافظات سوهاج .. وهذه المنطقة بالنسبة للعدو تعتبر هدفا استراتيجيا .. والتقطه بالطبع .. الصور الجوية للحاصلات الزراعية ..

ونحن نتساءل ومعنا الطيار على عفت ، هل هناك علاقة بين هذه الصور الجوية « الضائعة » بمحافظة سوهاج .. وبين الغارة الاسرائيلية على قناطر نجع حمادى ؟

وهل هذه الصور « ضاعت » فعلا ، أو أنها سحبت لأغراض أخرى ، ثم أعيدت أو أنها سحبت نهائيا وأعيدت مكانها صور أخرى ، مجرد صور أخرى ؟ !

واقعة أخرى .. ضياع بعض الصور الجوية بمحافظة الفيوم ، وقد ضاعت هذه الصور من أحد العاملين فى نفس المحافظة ، فى أبريل عام ٦٧ ، قبل المعركة بشهرين .. وتحرر « محضر شرطة » بالواقعة ..

وصوروا السد العالى

وكالعادة .. تم تحرير محضر شرطة .. فى منطقة اللاهون .. المنطقة التى ضاعت فيها الصور ، على وجه التحديد ، وحول المحضر إلى قسم شرطة امبابة ..

وانتهى الموضوع .. بلا أى رد فعل داخل المشروع .. وكأن هذه الصور مجرد صور عادية .. وليست صورا خطيرة .. يتضمن بعضها أهدافا عسكرية أو استراتيجية .. تبغى المحافظة عليها .

واقعة ثالثة .. إن مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية قام بالتقاط صور جوية لحساب المشروع فى محافظة أسوان ، تحتوى على صور جوية لمنطقة السد العالى ، وهى منطقة حتى عام ٦٧ خالية من الحاصلات الزراعية التقليدية التى يهتم بها مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية ، فليست بها حاصلات زراعية .. مثل القمح ، أو القطن ، أو الأرز ، فإذا تم تصوير هذه المنطقة .. وهل كان الهدف هو تصوير منطقة السد العالى كمنطقة استراتيجية فقط ؟

وطلب الطيار على عفت من وزير الحربية .. ضبط مثل هذه العمليات ، المشبوهة ، ووقف العمل فيها تلبية لدواعى الأمن ، كما طلب التحقيق فى موضوع الصور الجوية الضائعة ، فى محافظتى سوهاج والفيوم عام ١٩٦٧ ، والتحقيق فى مسئولية التقاط الصور الجوية لموقع السد العالى .. ضمن الصور الجوية للمشروع

وطلب أيضا .. النظر فى إصدار قرار جمهورى يقضى بنقل إدارة المساحة الجوية ، والأقسام الفنية التابعة لها إلى [illegible] وكما يقول الطيار على عفت فقد تم هذا النقل [illegible] بعد ست سنوات ، أى فى عام ١٩٧٤ .. على أساس أن المساحة الأرضية التى تنتج الخرائط الطوبوغرافية والمساحة الجوية التى تنتج الصور الجوية تتبعان وزارات الحربية ، أو الدفاع ، فى معظم الدول الأوربية فى انجلترا وبلجيكا وهولندا وغيرها ، نظرا لخطورة هذه الصور الجوية على الأمن القومى ..

عدد كبير !

ومع هذا فإن مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية ، كان يتبع جهة مدنية ، هى مصلحة المساحة ، التابعة لوزارة الرى ، رغم الأعداد الهائلة من الصور الجوية التى يتداولها المشروع والتى تتضمن أهدافنا العسكرية والاستراتيجية ..

ومع ذلك فلم يحقق المشروع أهدافه .. وفى مقدمتها أن يكون هذا المشروع بديلا لحصر الحاصلات الزراعية بالتحقيق الحقلى ، على أن يتم تغيير الحاصلات وقياس مساحتها بالاستعانة بالصور الجوية مكتبيا ، أى دون النزول إلى الحقل كما كان يحدث من قبل ، الا أن مدير المشروع صرح فى احدى لجان التنسيق والمتابعة ، كما يقول الطيار على عفت بأنه سيلجأ الى التحقيق الحقلى مدة عام أو عامين حتى يتم تدريب العاملين على استيعاب الأجهزة الحديثة ، التى اشتريت لحساب المشروع

ويعلق الطيار على عفت .. فيقول :

كان الواجب الحتمى هو إصدار قرار فورى بإرجاء التنفيذ حتى يتم التدريب .. الا أن الذى حدث هو أن الصور الجوية التى تحتوى على أخطر أسرارنا العسكرية والاستراتيجية ، ذهبت إلى الأسواق والعربى والحقول فى أيدى صغار الموظفين .. وكانت النتيجة ، ضياع ، بعض هذه الصور الجوية الخطيرة ، حيث ثبت من التحقيق فيما بعد أن عدد الصور الجوية الضائعة من المشروع بلغ ٣٦٤ صورة جوية ..

ولم نحاول أية جهة أن تتحقق من نوعية هذه الصور الجوية .. وهل كانت تتضمن حاصلات زراعية فقط أم كانت تتضمن « أهدافا » عسكرية .. أو استراتيجية .. مثل الصور الجوية « الضائعة » من محافظة سوهاج .. والتى يربط الكثيرون بينها وبين عملية الغارة الجوية المفاجئة على نجع حمادى والتى ضربت فيها قناطر نجع حمادى ..

واقعة هامة أخرى .. تستحق أن نقف عندها .. فى أبريل عام ١٩٦٦ ، قبل هزيمة يونيو بحوالى ١٤ شهرا ، وفى نفس الشهر الذى تم فيه الانتهاء من الجولة الأولى للمسح الجوى وانتهوا من التقاط ما يقرب من ٢٠ ألف صورة لمحافظات الجمهورية ، وبعد أن تم التصوير الجوى للجمهورية كلها ، فوجئنا كما يقول الطيار على عفت بقرار من مدير المشروع بسفر الوكيل الإدارى للمشروع .. وهو مهندس زراعى متقدم فى السن إلى باريس بدعوة علمية لحضور فرقة متقدمة لقراءة الصور الجوية ، مدتها ٦ أشهر ، ولكنه عاد إلى القاهرة بعد ٢٠ يوما فقط ، ووراءه خطاب من باريس يعتب على وزارة الرى اختيار هذا الرجل لتلك المهمة الدراسية المتقدمة ، خاصة أنه لا يجيد الفرنسية بالدرجة التى تمكنه من متابعة الدراسة .

وطالب الطيار على عفت بالتحقيق فى هذه الواقعة .. وأثار عدة تساؤلات .. كيف وصلت هذه الدعوة .. إلى الوزارة ؟ ! ومن الذى وجهها إلى المشروع ؟ ومن الذى رشح هذا المهندس الزراعى لحضور هذه الفرقة المتخصصة الصعبة حتى على المتخصصين .. ؟ !

وبعد هزيمة يونيو .. برزت هذه الواقعة أمام الطيار على عفت لتثير عدة تساؤلات أخرى هل كانت هذه الرحلة العاجلة إلى باريس ، من أجل الدراسة حقا ، أم كانت من أجل تسليم الصور الجوية للعملاء وهى مهمة لا تستغرق سوى بضعة أيام ؟ !

وسؤال آخر هل كانت هذه الرحلة العاجلة الى باريس بعلم وزارة الرى ؟ وهل كانت تعلم مؤهلات المرشح لحضور هذه الفرقة ؟ أم أن قرار الترشيح انفرد به مدير المشروع لغرض فى نفسه ؟ وماهو موقف وزارة الرى بعد عودة هذا المرشح بهذه الطريقة ؟ !

تساؤلات كثيرة .. يثيرها مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية والعلاقة بينه وبين هزيمة يونيو ٦٧ وفى نفس الوقت .. ماهى العلاقة التى تربط وزير الرى فى ذلك الوقت بمدير المشروع .. وهل هى مجرد علاقة بين الوزير ، وبين أحد المسئولين التابعين له ، وهو مدير مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية .

المهم .. أن الطيار على عفت .. كتب إلى رئيس الجمهورية السابق – بلاغا من ثلاث صفحات .. وطبعه على الآلة الكاتبة وعنوانه « لماذا أهاجم وزير الرى » ، وأطالب باستقالته ومحاكمته « وتناول فيه موضوع الانحراف والتخريب فى مشروع المسح الجوى للحاصلات الزراعية التابع لوزارة الرى ، وكان هذا البلاغ « العلنى » يوم ١٣ مارس ١٩٦٨ ، وبعدها بأربعة أيام ، أرسلت برقية إلى وزير الرى فى ذلك الوقت ليقطع رحلته فى السودان ، ويعود فورا إلى القاهرة ، تم استبعد من الوزارة بعد ذلك بأربعة أيام أخرى فى الوزارة التى شكلت برئاسة رئيس الجمهورية السابق ..

والقضية مستمرة .. □

● الفريق أول محمد فوزى .. قطع بخطورة المشروع وأمر بوقفه نهائيا .

● المئات الجوية كانت هدفا للتصوير الجوى .